Journal Of the Iraqia University (67-2) June (2024)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

الأساليب الإنشائيَّة الطلبيَّة في دعاء الأعراب(دراسةٌ بلاغيَّةٌ)

د/ هيا فهيد سعد القحطاني

أستاذ البلاغة والنقد المساعد في قسم اللغة العربية

كلية الآداب بالأحساء - جامعة الملك فيصل

The Impositive and Requestive Rhetorical Structures in the Prayer of the Bedouins (A Rhetorical Study)

Dr. Haya Fahid Saad Al-Qahtani

Assistant Professor of Rhetoric and Criticism, Department of Arabic Language

College of Arts, Al-Ahsa – King Faisal University

الملخَّص:

يدور هذا البحث حول الأساليب الإنشائية الطلبية البارزة في دعاء الأعراب، والتي تنوَّعت بين الاستفهام والأمر والنهي والنداء، والوقوف عند دلالاتها البلاغية، التي تُؤكِّد فصاحتهم وقدرتهم على التعبير اللُّغوي الأصيل، وكان اعتمادُنا في التحليل على المنهج الوصفي التحليلي.

وقد اعتمدتُ في هذه الدراسة بما جاء في كتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربِّه من نماذِجَ في دعاء الأعراب، مُضيفًا إليها ما استطعتُ الوقوفَ عليه من المصادر والمراجع التي تتَّصل بموضوع بحثي، وقد خرج البحث بنتائجَ؛ من أبرزها: تنوُّع الأساليب الإنشائية الطلبية في دعاء الأعراب، وخروج الأمر والنهي والاستفهام والنداء من دلالتِه الأصليَّة إلى دلالاتٍ أخرى، وأبرزها غرض الدعاء.

الكلمات المفتاحية: (الإنشاء، الطلبي، الأعراب، بلاغة، الدعاء، فصاحة، التضرُّع).

Abstract:

This research revolves around the prominent impositive and requestive rhetorical structures in the prayers of the Bedouins, which vary between interrogation, command, prohibition, and invocation. It explores their rhetorical connotations, which emphasize their eloquence and ability to express themselves in authentic language. The analysis is based on the descriptive-analytical approach. In this study, I relied on examples of Bedouin prayers found in the book Al-'Iqd al-Farīd by Ibn Abd Rabbih, adding to them any relevant sources and references I could find related to my research topic. The study resulted in several findings, the most prominent of which are: the diversity of the impositive and requestive rhetorical structures in Bedouin prayers, and the shift of the meanings of command, prohibition, interrogation, and invocation from their original connotations to new ones, with the most notable being the purpose of the prayer itself.**Keywords:** Impositive Expression, Requestive Expression, Bedouins, Rhetoric, Prayer, Eloquence, Invocation.

المُقدّمة:

الدعاء: «مصدر لفِعْل دعا يدعو دَعْوًا ودعاءً» (ابن دريد، ١٩٨٧: ٦٦٦/٢)، فمادَّتُه تدلُّ على النداء، والسؤال، والطلب والاستغاثة، والتسمية، قال ابن منظور: «والاسم الدعوة، ودعوت فلانًا: أي صِحْتُ به واستدعيته ...» (ابن منظور، ١٤١٤: ٢٥٨/١٤).

وفي الاصطلاح: «معنى الدعاء: استدعاء العبد ربَّه –عز وجل– العناية، واستمداده إيَّاه المعونة، وحقيقتُه إظهار الافتقار إليه، والتبرُّؤ من الحول والقوة» (الخطابي، ١٩٨٤: ٤/١).وعرَّفه بعض المعاصرين بأنه: «الابتهال إلى الله تعالى بالسؤال، والرغبة فيما عنده من الخير، والتضرُّع إليه في تحقيق المطلوب وإدراك المأمول» (العروسي، ١٩٩٦: ٤٨/١).والدعاء من أعظم العبادات وأقربها إلى الله تعالى، بل هو لبُّ العبادة، فقد جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم بأن «الدعاء هو العبادة» (العسقلاني، ١٣٨٠: ٩٤/١١)، وهو الصلة بين العبد وربِّه، فالدعاء وسيلةٌ للتعبير عن الخضوع والتوكُّل على الربِّ سبحانه، وتعميق العلاقة بين المسلم وربِّه، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. [غافر: ٦٠]، كما أنه وسيلة لجلب الخير والرخاء ودفع البلاء والشدائد، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يردُّ القضاء إلا الدعاء» (الترمذي، رقم ٢١٣٩: ١٨/٤)، فالدعاء لا يقتصر على طلب الحاجات فحسبُ، بل هو استسلام لقضاء الله تعالى وثقةٌ برحمته، وهو ركنٌ من أركان العبادة التي لا غِنَى عنها في حياة المسلم.والأساليب الإنشائية الطلبية ممَّا يستعين به العبد على الدعاء، لِيُعبّر عن مشاعره ورغباته؛ نظرًا لقدرتها كغيرها على احتواء المشاعر الوجدانية ومناسبتها للغرض.ويكشف هذا البحث عن جانبٍ من جوانب البلاغة عند الأعراب، من خلال الوقوف على الأساليب الإنشائية الطلبية في دعائهم، كما جاء في العقد الفريد لـ (ابن عبد ربه)، ولعلَّ ما جاء على لسان (غيلان): «إذا أردت أن تسمع الدعاء فاسمع دعاء الأعراب» (ابن عبد ربه، ١٤٠٤: ٤/٤) يُعَدُّ دافعًا لمعرفة استخدامهم للإنشاء الطلبي في هذه الأدعية التي عُدَّتْ مثلًا للدعاء الصادق، وتوفيقًا من الله لهم بإلهامهم للدعاء، ولذلك قال عمر بن عبد العزيز: «ما قوم أشبه بالسلف من الأعراب لولا جفاء فيهم» (ابن عبد ربه، ١٤٠٤: ٤/٤)، «فاللغة في الأدب ليست مجرَّد وسيلة اتصال فحسبُ، وإنما وسيلة تعبير» (ذريل، ٢٠٠٢: ٧٦).واقتضت خطة البحث أن يُقسَم إلى مقدِّمة؛ حيث يتمُّ تناوُل أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، وتساؤلات البحث، مع عرضٍ للدِّارسات السابقة، كما تتضمَّن منهج البحث وهيكله، ومبحثين؛ المبحث الأول: تمهيد؛ ويتضمن تعريف الإنشاء وأساليبه الطلبية وغير الطلبية، وتعريف بالأعراب وبلاغتهم وصفاتهم، والمبحث الثاني: الأساليب الإنشائية الطلبية في دعاء الأعراب، ثم الخاتمة؛ حيث تَعرِض النتائج التي توصَّلت إليها الدراسة، وثبتٌ بالمصادر والمراجع.

الدراسات السابقة:

لم يَقِف الباحث على دراسة خاصة حول موضوع الأساليب الإنشائية الطلبية في دعاء الأعراب، وهناك دراسات مُتعدِّدة في بلاغة الدعاء بصفة عامة، ومن بين هذه الدراسات السابقة تلك التي تتناول قول الأعراب في الدعاء:

١. «التوازنات الصوتية في دعاء الأعراب، وأثرها في إثراء الدلالة» (د. سلمان بن محمد بن حسن القرني، مجلة كلية الدراسات الإسلامية بالإسكندرية، العدد: ٣٩، ٢٠٢٣)، وتختلف دراستي عن هذه الدراسة بأنَّ موضوع دراستي مختصٌّ بالإنشاء الطلبي وأنواعه، بينما الدراسة السابقة تتناول ظاهرة التوازن الصوتي، وبيان أهم وجوه التوازن الصوتي في دعاء الأعراب؛ وهي: أولًا: التوازي، ثانيًا: البديع، ثالثًا: التكرار.

٢. «البلاغة وطبقاتها عند الأعراب المجهولين» (عبد الكريم محمد حسين، مجلة فصل الخطاب، الجزائر، العدد ٦، ٢٠١٤)، وهي تختلف عن دراستي التي تتناول جزءًا يسيرًا من بلاغة الأعراب من خلال الإنشاء الطلبي في دعائهم، بينما الدراسة السابقة تُعطِي صورة أولية عن التفكير البلاغي عند العرب، ويكشف عن مواقف الأعراب من السؤال عن مفهوم البلاغة لتكون أجوبتُهم ضربًا من التعبير الأدبي الممهد للمفهوم العلمي للبلاغة، وتتَّخِذ الدراسة من المنهج الوصفي التحليلي أداةً للبحث، في تتبُّع الظواهر والأساليب الإنشائية الطلبية باستخراج الأغراض البلاغية، وما يتطلَّبُه ذلك من تحليل وربْط كلِّ شاهد بسياقه، كما يُجيب البحث عن سؤالاتٍ؛ منها: من هم الأعراب؟ وما أبرز صفاتهم؟ وبماذا تميزوا؟ وما مواضع الأساليب الطلبية التي خرج إليها دعاء الأعراب عن معناها الأصلي إلى معنى آخر دلالي؟ وما أكثر الأساليب الطلبية ورودًا في دعاء الأعراب؟ وما أقل الأساليب الطلبية ورودًا؟ ومادلالة ذلك؟ وتهدف الدراسة إلى الكشف عن بلاغة استخدام الأعراب للأساليب الإنشائية، وتجلية العَلاقة الفريدة بين التراكيب المتنوِّعة للدعاء والدلالات المستوحاة منه، وتتمثَّل أهمية هذه الدراسة في كونِها أول دراسة مُتخصِّصة في إبراز الأساليب الإنشائية الطلبية في دعاء الأعراب، وتحديد الأساليب الطلبية في دعاء الأعراب، وتحديد أكثر الأساليب الطلبية ورودًا في دعاء الأعراب، ودلالة ذلك.

وقد كان اختياري لدعاء الأعراب؛ لما يحويه من جوانب بلاغية، وكان من أسباب اختياري للموضوع: تعدُّد الأساليب الإنشائية الطلبية، ووفرتها في دعاء الأعراب، وتعدُّد عطاءاتها، فأساليب الإنشاء الطلبي ذات عطاء فيَّاض، وثراء ماتع، كما أنها تُعطِينا لونًا بلاغيًّا مميزًا، كما كان من

أسباب اختياري لهذا الموضوع هو عدم وجود دراسات سابقة تتناول الأساليب الطلبية في دعاء الأعراب، والإسهام في إثراء المكتبة العربية بهذا النوع من الدراسات.وتمثلت الإشكالية في الوقوف على النتاج لدعاء الأعراب في كُتُب متفرقة ومتنوعة، ولم يُفرَد لها كتابٌ بعَينِه، ورصد الأساليب الإنشائية في دعاء الأعراب، ومدى تأثيرها، وإبراز جوانبها الطلبية في دعائهم.

المبحث الأول

تمهيد

أولًا: تعريف الإنشاء.

لغة: الإنشاء هو مصدر الفعل الرباعي (أنشأ)، وهو فعلٌ مَزِيدٌ من الفعل الثلاثي (نشأ)، وقد تحدَّث المُعجميُّون عن معنى الإنشاء بقولهم: «النَّشَأ أحداث الناس الصغار، والناشئ: الشاب، والناشئة: أول الليل، وأنشأتُ حديثًا: ابتدأتُ، وأنشأ الله السَّحاب، فنشأ ينشأ؛ أي: ارتفع» (الفراهيدي، د. ت: ٢٨٨). كما أنَّ لفظة الإنشاء تدلُّ على الإيجاد والابتداء بعد العدم، «مِن نَشَأ أنشأه الله: خلقه، وأنشأ الله الخلق: ابتدأ خلْقَهم، وأنشأها إنشاء، وأنشأ يحكي حديثًا: أي ابتدأ حديثًا» (ابن منظور، ١٤١٤: ١٤ /١٣٤).

اصطلاحًا هو: «الكلام الذي لا يحتمل صدقًا ولا كذبًا؛ لأنه لا يخبر بحصول شيء أو عدم حصوله، فيكون له واقعٌ خارجيٌّ يطابِقُه أو لا يُطابِقُه» (قلقيلة، ١٩٨٧: ١٤٨).وينقسم الإنشاء إلى قسمَين: إنشاء طلبي وغير طلبي، ويُقصَد بالطَّلبي: ما يستدعي مطلوبًا غير حاصلٍ وقتَ الطلب؛ ومنه: (الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء).ومنه غيرُ الطَّلبي: وهو ما لا يستدعي مطلوبًا، وله صِيَغٌ هي: (المدح، والذم، والتعجُّب، والقسم، وصيغ العقود، والرجاء، وكم الخبرية) (المراغي، ٢٠٠٤: ٢٢).وسوف نتناول في بحْثِنا ما يتعلق بأنواع الإنشاء الطلبي، وهي الأكثر حضورًا في لغة العرب، وأوسعها انتشارًا في استعمالهم؛ لذا فسوف نتحدَّث عنها بمزيدٍ من العرض، وشيء أوسع من التفصيل.

ثانيًا: التعريف بالأعراب وصفاتهم.

يقول الخليل: «عَرَب: العرب العاربة الصريح منهم، والأعاريب جماعة الأعراب، ورجلٌ عربي ... وأعربَ الرجلُ أفصح القول والكلام، وهو عرباني اللِّسان: أي فصيح» (الفراهيدي، د.ت: ١٨٢/٢).ويقول ابن منظور: «الأعرابي: البدوي وهم الأعراب والأعاريب: جمع الأعراب، وليس الأعراب جمعًا لعرب، والنسب إلى الأعراب: أعرابيٌ؛ لأنهُ لا واحد له على هذا المعنى كونه اسمَ جنسٍ، ورجلٌ أعرابيٌ إذا كان بدويًّا صاحب نِجعةٍ وانتواءٍ وارتيادٍ للكلأ وتتبُّعٍ لمساقطِ الغيثِ، وسواءٌ كانَ من العربِ أو من موالِيهم، ويُجمَعُ الأعرابيُ على الأعرابِ والأعاريبِ. والأعرابيُ إذا قيل لهُ: (يا عربيُ) فَرِحَ بذلكَ وهَشَّ لهُ، والعربيُ إذا قيل له: (يا أعرابي) غَضِبَ له، فمن نزل البادية أو جاور البادِين وظَعَنَ ظعْنَهم وانتوى بانتوائهم فهُمْ أعرابٌ، ومن نزل بلاد الرِّيف واستوطن المُدن والقرى العربية وغيرها ممَّن ينتمي إلى العرب فهُمْ عربٌ وإن لم يكونوا فُصَحاء» (ابن منظور، ١٤١٤: ٥٨٦/١).ومن خلال التعاريف السابقة لمصطلح (الأعراب) نجد أنه اسمُ جنسٍ ليس له مفردٌ، ويدلُّ على من سكن البادية وتتبَّع مواضع الماء والكلأ، وليس لهم استقرارٌ بمكان معيَّنٍ، سواءٌ أكان أصله عربيًّا أم غير عربي، يَغلِب عليهم القسوة والجفاء والولاء للقبيلة والعشيرة، وهذا راجع للبيئة التي عاشوا فيها، والأنفة التي جُبِلُوا عليها؛ وعليه فليس كلُّ أعرابيٍّ عربيًّا، وليس كلُّ عربيٍّ أعرابيًّا، فالأعراب سكان الصحراء ورُعَاة الغنم والإبل والبقر في كلِّ مكانٍ ومن كل جنسٍ، والعرب جماعة خاصة من وَلَدِ إسماعيل عليه السلام، وبناءً على ذلك نَجِدُ أن لا علاقة بين العرب والأعراب.

وقد وردت كلمة (الأعراب) في عدَّة مواضع في القرآن الكريم؛ ومنها:

قوله تعالى﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا﴾ [التوبة: ٩٧]، ويقصد بهم سكان البادية الذين كانوا أشدَّ جُحودًا للإسلام، ويُقصَد من هذه الآية الكريمة أنَّ الأعراب الجُفَاة الذين لا يَعرِفون الله ورسوله حقَّ معرفتِهما أشدُّ كفرًا ونفاقًا وجُحودًا لنِعَمِ الله.كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة: ٩٩]، وهنا يشرح القرآن أنَّ هنالك من الأعراب من يُؤمِن بالله ويعمل الصالحات ويُنفِق في سبيل الله، فهم ليسوا سواء.ويتميَّز الأعراب بكثيرٍ من الصفات، بعضُها إيجابيٌّ يعكس نَقَاء الفطرة والشجاعة؛ ومن أمثلة ذلك: الإقْدام والكرم والجُود، والأَنَفَة وعِزَّة النفْس، وسرعة البَدِيهة، وغريب الجواب، فضلًا عن البلاغة المتناهية، وسرعة البديهة في الردِّ، وبعضها سلبيٌّ، ويعود ذلك إلى طبيعة حياتهم القاسية؛ منها: القسوة، والجفاء، والعصبية القبلية.**وقد جاء في السُّنَّة المُطهَّرة عددٌ من أسئلتهم التي تدلُّ على رزَانة العقل، وعُمْق التفكير، والطبع السليم، كما أظهرت صِدْقَ إيمانهم؛ وممَّا ورد من ذلك:**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «نُهِينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء، فكان يُعجِبُنا أن يَجِيء الرجل من أهل البادية العاقلُ، فيسألُه، ونحن نسمع، فجاء رجلٌ من أهل البادية فقال: يا محمَّد، أتانا رسولُك فزَعَم لنا أنك تزعم أنَّ الله أرسلك، قال: صدق ... إلخ» (مسلم، رقم ١٢: ٤١/١). ومن ذلك أيضًا: عن أبي هُرَيْرَة أَن رجلًا قَالَ: «يا رسول الله، دلَّنِي على عملٍ إِذا عَمِلْتُه دخلتُ الْجنَّة، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «تعبد الله لا تشرك بِهِ شَيْئا، وتقيم الصَّلَاة الْمَكْتُوبَة، وَتُؤَدِّي الزكاه الْمَفْرُوضَة، وتصوم رَمَضَان» فَقَالَ الرجل، وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيد على هَذَا شَيْئًا، وَلَا أنقص مِنْهُ...» (مسلم، رقم ١٤: ٤٤/١).

ثالثًا: بلاغة الأعراب.

كان بيان الأعراب صافيًا نقيًّا، خاليًا من الهُجنة، مُعرِبًا عن القصد، ولا شكَّ في ذلك، «فهم أهل الفصاحة، يلتمسهم الرُّوَاة، ويحملون عنهم، ويرَوْن فيهم بقيَّة اللغة، ومادَّة العرب» (الرافعي، د. ت: ٣٦/١).فبلاغة الأعراب ليست بمستغرَبة، فهم أبلغ العرب وأفصحهم، وقد ورد في وصيَّة عمر رضي الله عنه للخليفة من بعْدِه: «أوصيه بالأعراب خيرًا، فإنهم أصل العرب، ومادَّة الإسلام» (البغوي، ١٩٨٣: ٨٣/١٠).وتشكلت فصاحتهم وبلاغتهم نتيجة لأسباب عديدة ، أبرزها: البيئة الصحراوية الصافية التي لم يخالطها عجم ، مما حفظ لغتهم من اللحن والتحريف، فترتب على ذلك سليقة لغوية نشأ الأعراب عليها منذ صغرهم جمعت بين العفوية والقوة .ومن الأمثلة التي تدلُّ على فهْم معنى البلاغة لديهم قولُ الأعرابي: «البلاغة التقرُّب من البعيد، والتباعد من الكُلْفة، والدلّالة بقليلٍ على كثير» (القيرواني، د. ت: ١٥٨/١).وعَرَضَ أعرابيٌّ آخر لمفهوم البلاغة بقوله: «البلاغةُ التقرُّب من معنى البُغْية، والتبعُّد من وَحْشِيّ الكلام وقُرْب المأخذ، وإيجازٌ في صوابٍ، وقصدٌ إلى الحُجَّة، وحسْنُ الاستعارة» (النويري، ١٩٢٩: ٦/٧).ومن ذلك: ما رُوِي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ حيث قال: «كنت لا أدري ما {ير يز يم} [فاطر: ١] حتى أتاني أعرابيَّان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها؛ أي أنا ابتدأتها» (القرطبي، ١٩٦٤: ٣١٩/١٤).ومن تلك الأخبار ما يُروَى: «أنَّ أعرابيًّا حضر مجلس ابن عبَّاسٍ، فسَمِعَ عنده قارئًا يقرأ: ﴿وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾ [آل عمران: ١٠٣]؛ فقال الأعرابي: والله ما أنقذكم منها وهو يُرجِعُكم إليها، فقال ابن عباس رضي الله عنه: خُذُوها من غيرِ فقيهٍ» (التوحيدي، ١٩٨٨: ١٧٨/٥).ولذلك قصَدَهم الولاة والخلفاء لتهذيب أولادهم وتعليمهم فصيح اللغة؛ وذلك (لِمَا في هواء البادية من الصَّفَاء، وفي أخلاق البادية من السَّلاسَة والاعتدال، والبعد عن مفاسد المدينة، ولأنَّ لغة البادية سليمة أصيلة) (الندوي، ٢٠٠٤: ١٦٠)، ففصاحة لسانهم جعلت كثيرًا من العلماء يرتحل إليهم ليتعلَّموا من بلاغتِهم وفصاحتهم، فأخذ كثيرٌ من علماء اللُّغة؛ ومنهم (الأخفش الأكبر) الذي أخذ عنه سيبويه، كما كانوا يُحكِّمونهم بين سيبويه والكِسَائي الذي أخذ عِلْمَه عنهم أيضًا (ينظر: الزبيدي، د. ت: ٢٧٥/٢)، كما وجَّه الرشيد ابنه المعتصم إلى البادية فتعلَّم الفصاحة، وكان أميًّا (ابن عبد ربه، ١٤٠٤: ٢٧٥/٢).ولعلَّ ما تميَّز به الأعراب نقلًا عن ابن عبد ربه –يُقدِّم لكلام الأعراب–: «ونحن قائلون بعَون الله وتوفيقه في كلام الأعراب خاصَّة؛ إذ كان أشرف الكلام حسبًا، وأكثره رَوْنقًا، وأحسنه دِيباجًا، وأقلَّه كلفةً، وأوضحَه طريقةً؛ وإذ كان مدارُ الكلام كله عليه ومُنتَسَبُه إليه» (ابن عبد ربه، ١٤٠٤: ٣/٤).ويذكر الجاحظ أنَّ الأعراب اتَّخذت من الرُّوم والسِّنْد والبربر والنُّوبه رجالًا تَرعَى إِبِلَهم؛ لحِذْقِهم ودُرْبَتِهم، حتى أن أطفال البربر إذا صاروا إلى البدو فصحَّت ألسنتُهم وفاقوا الأعراب الخُلَّص (ينظر: الجاحظ، ١٤٢٤: ٣٤٣/٣)، ويضيف الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين): «وأنا أقول: إنه ليس في الأرض كلامٌ هو أمتعُ، ولا آنَقُ، ولا ألذُّ في الأسماع، ولا أشدُّ اتصالًا بالعقول السليمة، ولا أفْتَقُ للّسان، ولا أجْودُ تقويمًا للبيان، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء، والعلماء البلغاء» (الجاحظ، ١٤٢٣: ١٣٦/١).وهكذا لا تكاد تخلو المُدوَّنة التراثية من أخبار الأعراب التي تشهد على بلاغَتِهم وبراعتهم في تشقيق القول وتصريفه؛ ومنها: «قال العُتبِي: سُئِل أعرابى عن حالِه عند موته فقال: أَجِدُنِى مأخوذًا بالنَّقلة، محجوجًا بالمُهْلة، أُفارِقُ ما جمَعتُ، وأُقدِمُ على ما ضيَّعتُ، فيا حيائى من كريمٍ قدَّم المعذرة، وأطال النظرة، إن لم يتدارَكْني بالمغفرة، ثم قضى» (القيرواني، د. ت: ١١٣١/٤).

و«قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى: وقفتْ علينا أعرابيَّة فقالت: يا قوم، تعثَّر بنا الدهر؛ إذ قلَّ منا الشُّكْر، وفارقنا الغِنَى، وحالفنا الفقر، فرَحِمَ الله امرأً فَهِمَ بعقلٍ، وأعطى من فضلٍ، وواسَى من كفافٍ، وأعان على عفاف» (القيرواني، د. ت: ١١٣١/٤).وهذه القصص ومثلها كلُّها تختصُّ بإظهار فصاحة الأعراب، والإخبار عن ثقافتهم وما يمتازون به من سَعَةٍ في التعبير، ومن أهمّ هذه المواضع التي تَبرُز فيها بلاغة الأعراب أدعيتُهم وابتهالاتُهم التي عانقت السماء.

المبحث الثاني: الأساليب الإنشائية في دعاء الأعراب ودلالاتها البلاغية

جمالية التركيب الإنشائي ظهرت من خلال دعاء الأعراب؛ لما له من قدرة على إثارة المُتلقِّي وتحريك دواخله، وهذا ما يفتقده الأسلوب الخبري.

وقد تنوَّعت هذه الأساليب في دعائهم بحسب ما يقتضيه المقام والموقف، مما يبيّن مقدرتهم الفائقة في التعبير، ومن ثَمَّ التأثير على المخاطب بمجرد سماعه لهذه الأساليب؛ لما تنطوي عليه من تعابير ودلالات، تصديقًا لقول الأعرابي الذي سُئل: «ماهذه البلاغة التي فيكم؟ قال: شيء تُجِيش به صدورُنا فتقذفه على ألسنتِنا» (الجاحظ، ١٤٢٣: ٩٨/١).فقد اشتملت تلك الأدعية على معانٍ ساميةٍ، يتجلَّى فيها الإيمان بوحدانية الله والثناء عليه بما يليق بجلاله وعظمته، فكانت الأساليب الإنشائية أدوات تعبيرية للدُّعاء من خلال تخصيصه عزَّ وجلَّ بالطلب، وقد وردت هذه الأساليب الطلبية على النحو التالي:

الأمر:

أورد ابنُ منظورٍ في معنى الأمر لغةً قوله: «الأمر نقيض النهي، يقال: أمره يأمره أمرًا وإمارة فأتَمَرَ؛ أي قَبِلَ أمْرَه» (ابن منظور، ١٤١٤: ٢٧/٤).والأمر عند البلاغيّين هو: «طلب حصول الفعل من المُخاطَب على وجه الاستعلاء (الهاشمي، د. ت: ٧١/٣). وذكر في كتاب علم المعاني أنَّ الأمر هو طلب الفعل على وجْهِ الاستعلاء والإلزام، ويقصد بالاستعلاء أن يَنظُر الآمر لنفسه على أنه أعلى منزلةً ممَّن يخاطبه أو يوجه الأمرَ إليه، سواءٌ أكان أعلى منزلةً منه في الواقع أم لا (عبد العزيز عتيق، ٢٠٠٩: ٧٥/١).والأصل في صيغة الأمر أنَّ تفيد الإيجاب؛ أيْ طلب الفعل على وجْهِ اللُّزوم، وهذا هو المفهوم منها عند الإطلاق (المراغي، د. ت: ٧٥).وللأمر صيغٌ مُتعدِّدة ومعروفة هي: فعل الأمر (افعل) وهي أكثر الصيغ ورودًا، والفعل المضارع المقترِن بـ(لام الأمر)، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر.

وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي، وهو طلب الفعل على وجْهِ الاستعلاء والإلزام إلى معانٍ أخرى تُفهَم من سياق الكلام (أحمد مطلوب، ١٩٨٠: ١١١).ومن خلال تتبُّع دعاء الأعراب نرى كثرة الدعاء بأسلوب الأمر؛ حيث جاء أكثر من ٣٣ مرة، ولعلَّ السرَّ في مجيء الدعاء بأسلوب الأمر بدلًا من الأسلوب الخبري كقولك: (رحم الله فلانًا، أو غفر الله له) للتفاؤل بالاستجابة وإظهار الحرص في سرعة استجابته، حتى لكأنَّه متحقِّق على الفور (محمد شادي، ١٤٣١: ١٧٤).وكثرة الدعاء بأسلوب الأمر قد ترجع –والله أعلم– إلى خفَّة النطق بفعل الأمر دون النهي الذي على صيغة (لا تفعل) الذي فيه شيء من الثِّقَل، ومعلومٌ أنَّ النفس الداعية الراجية تَحرِص على بثِّ حاجاتها في أسلوبٍ سهلٍ واضحٍ مُراعًى فيه الخفَّة والبعد عن التعقيد.وسنلاحظ من خلال أمثلة الأمر في دعاء الأعراب أنها جاءت على صيغة واحدة من صيغ الأمر وهو (فعل الأمر)، وقد خرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى دلالة الدعاء فيها؛ حيث لا يمكن أن يحمل الأمر دلالته الظاهرية عند توجيهه من الأقل إلى الأعلى مرتَّبة، وهذا ما أكَّده السيوطي في كتابه: «لطلب الفعل مع استعلاء ... وقد يجيء للعالي كالدعاء» (السيوطي، ٢٠١١: ١٤٥).وهو الطلب على سبيل الاستعانة والعون والتضرُّع والعفو، وسمَّاه ابن فارس (المسألة) (ابن فارس، ١٩٩٧: ١٣٨).ومن أساليب الأمر التي وردتْ في دعاء الأعراب فعلُ الأمر: (اغفر) التي تكرَّرت مرارًا في دعاء الأعراب؛ منها ما جاء متبوعًا بـ(لي) كقولهم: (اغفر لي، والجلد بارد والنفس رطبة)، و(اغفر لي مغفرة واسعة)، و(اغفر لي جميع ما افترضت عليَّ ولم أؤدِّه إليك)، و(اغفر لي جميع ما تبتُ إليك منه ثمَّ عُدت فيه)، و(فاغفر لي ما بين ذلك)، و(فاغفر لي ما لا يضرُّك)، ومنها ما هو غير متبوعٍ بـ(لي) كـ (فاغفر الزلة)، (ابن عبد ربه، ١٤٠٤: ٤/٤)، واختيار الضمير المفرد (لي) بدلًا من (لنا) يوحي بصدق التوجُّه والانكسار الفردي أمام الله، وشعور العبد بمسؤوليَّتِه عن ذنبِه دون أن يُعمِّمَها على غيره، فحين يطلب الأعرابي المغفرة يستشعر في نفسه التقصير والندم على الذنبوب.حيث آثر الأعرابي لفظ المغفرة بأسلوب الأمر دون غيره؛ لأنها شاملة، والأمر هنا خرج إلى غرض الدعاء، فهو من العبد إلى ربِّه الأعلى، ولا شكَّ أنَّ الدعاء خاصة بالمغفرة تَضرُّعٌ وخضوعٌ يلهج به لسان الأعراب وغيرهم، فهي صيغة قصيرة في مبناها لكنها واسعة في معناها، فهي تجمع بين التذلُّل والاعتراف بالتقصير، وهي بالإضافة إلى ذلك شاملةٌ لكلِّ ذنبٍ، سواءٌ كان صغيرًا أو كبيرًا، ظاهرًا أو باطنًا، وتَكرارها يحمل دلالة إلحاح العبد على ربِّه في الطلب.

ومن أفعال الأمر التي خرجتْ إلى دلالة الدعاء، وتكرَّرت أيضًا بكثرة الفعل: (اجعل) فجاء في دعاء الأعراب: (اجعل خير عملي ما وَلِيَ أجلي)، و(اجعلني من الذين إذا أعطيتهم شكروا)، و(اجعل لي قلبًا توَّابًا أوَّابًا ...)، و(اجعلني من الذين إذا أحسنوا ازدادوا ...)، و(فاجعل العافية لي ...)، و(اجعل الموت خير غائب ننتظره)، و(اجعل القبر خير بيت نَعمُرُه)، و(اجعل ما بعده خيرًا لنا منه)، و(اجعل قِرَايَ فيها الجنة)، و(اجعل لي في اللهف إلى جوارك ...) (ابن عبد ربه، ١٤٠٤: ٤/٤)فكلُّ هذه الأدعية بصيغة الأمر تتضمَّن طلبًا يتجاوز المعنى الأصلي للأمر، لتعكس مشاعر ودوافع نفسية بثَّها الفعلُ (اجعل)، فهو من أفعال التكوين والتغيير والتبديل، وتعكس رغبة العبد في التحوُّل إلى حالٍ أفضل؛ حيث يطلب فيها تغيير العمل، والنقل من حالٍ غير مُرضِية إلى حالٍ مُرضٍ ، كما أنَّ (اجعل) تجمع بين التضرُّع والتفويض؛ حيث إنَّ الأمر فيها ليس بمعنى الإلزام، بل هو من باب الالتماس، ممَّا يُضفِي على الدعاء نغمةً رقيقةً ومُؤثِّرةً، أما التفويض أو التسليم، فعندما

يدعو الإنسان بـ(اجعل لي) فهو يُسلِّم أمره إلى الله تمامًا، ويُدرِك أن تحقيق حاجته لا يكون إلا بإرادته، وحضور المفعول به ضمير المتكلم (ني) حضورًا مكثفًا مُكرَّرًا، ليُفصِح عن عجز الذات الإنسانية وضعفها، ويجعل الدعاء شخصيًّا ومُحدَّدًا ممَّا يزيد تأثيره الرُّوحي.

ومن أفعال الأمر التي خرجت عن معناها الأصلي إلى غرض الدعاء الفعل (ارحم)؛ فقد ابتهل الأعرابي عشيَّة عرفة؛ حيث يقول: «ارحم صوتَ حزينٍ دعاك بزفير وشهيق» (ابن عبد ربه، ١٤٠٤: ٤/٤)؛ حيث حملت هذه العبارة شعور الداعي بحاجتِه الشديدة إلى رحمة الله، وهي المطلوب الأعظم؛ لأنَّ الرحمة من الله وحده، وحمل هذا الدعاء جمالًا بلاغيًّا عميقًا ساعده فيه أساليب بلاغية زادت من قوَّتِه وتأثيره العاطفي، أوَّل ما يطالعنا منها الإنشاء الطلبي في الأمر الذي خرج لغرض الدعاء والتوسُّل، والاستعارة التي جعلت الصوت كائنًا حيًّا حزينًا، والتضاد بين (شهيق وزفير) الذي تدفَّق معه الإيقاع الصوتي، الذي عبر عما في نفسه من قلقٍ وحُزنٍ، فخرج بدُعاء على منبر عرفات يَحكِي همومه ومعاناته.ويَبرُز لنا صوتٌ من مكانٍ آخر في صحن الطَّوَاف، فهذا الأعرابي يقول: «أيها المشفقون، ارحموا من شملتْه الخطايا، وغمرتْه البلايا، ارحموا من قَطَعَ البلاد، وخلَّف ما ملك من التِّلاد؛ ارحموا من وبَّخته الذنوب، وظهرتْ منه العيوب؛ ارحموا أسير ضرٍّ، وطريد فقرٍ...» (ابن عبد ربه، ١٤٠٤: ٦/٤)؛ حيث بدأ بالنداء: (أيها المشفقون) مما يثير انتباه المخاطبين ويستدرُّ عطفهم، فتكرار الحاج فعل الأمر (ارحموا) الذي خرج عن معناه الأصلي إلى غرض استجداء الرحمة والعطف من المخاطبين، وإيثار صيغة الجمع هنا تفيد التعميم، وكأن الخطاب يشمل الجميع، ممَّا يُضفِي على الدعاء بُعدًا اجتماعيًّا وأخلاقيًّا أوسع، وممَّا زاد من تأثُّره العاطفي استخدام نغمة موسيقيَّة جميلة نابعة من العبارات المسجوعة (شملتْه الخطايا، غمرتْه البلايا) (قطع البلاد – ما ملك من التِّلاد) (أسير ضُرٍّ– طريد فقرٍ)، فجمع بين عاطفة جياشة وتصوير بديع.وكثيرًا ما يصحب الوداع الدعاء، فودَّعت أعرابية ابنًا لها فقالت: «كان الله صاحبك في أمرك، وخليفتك في أهلك، ووليَّ نُجْحِ طَلِبَتِك، امْضِ مصاحَبًا مكلوءًا، لا أشمتَ اللهُ بك عدوًّا، ولا أرى مُحِبِّيك فيك سوءًا» (ابن عبد ربه، ١٤٠٤: ٩/٤)؛ حيث جاء فعل الأمر (امض) وهو ليس أمرًا بالمعنى الإلزامي، بل دعاءً حَمَلَ في طيَّاتِه معاني التشجيع والتأييد، كما حمل تحفيزًا نفسيًّا وغرسًا للثقة في نفس ابنها، فلا يتردَّد ولا يخشى العقبات، وممَّا زاد في جماليَّة هذا الدعاء اللطيف الاستخدام الموفَّق لأسماء الله الحسنى (صاحبك– خليفتك، وَليَّ)، ممَّا يبرز صدق عاطفة هذه الأم ومشاعرها الجياشة تُجاه ابنِها في سياق هذا الدعاء.وأعظم الدعاء ما اقترن به شعور الفَقْد، فهذا أعرابيٌّ مات ابنُه فلجأ إلى الله فقال: «اللهم إني وهبتُ له ما قصَّر فيه من بِرِّي، فهبْ له ما قصَّر فيه من طاعتك» (ابن عبد ربه، ١٤٠٤: ٩/٤) ففعل الأمر هنا (هب) خرج عن معناه الأصلي لغرض الدعاء لابنه المتوفَّى، فالطلب في الجملة جاء بأسلوب الدعاء والتضرُّع، ممَّا يوحي بالخضوع والتذلُّل لله، وهذا يزيد من تأثيره البلاغي، ويُعزِّز التأثير العاطفي والمعنوي للدعاء.وهكذا يَمضِي الأمر بصيغتِه المعروفة وبصورةٍ مُتكرِّرة في دعاء الأعراب، ولا شكَّ أنَّ الاعتماد عليه وسيلة مثالية للتعبير عن الدعاء المدعم بالرغبة الصادقة في الإجابة من مثل: (أعني على الموت وكربته– فتجاوز عن الذنوب التي كتبت عليّ– فأقْلِلْني إليك مغفورًا لي– أغْنِنِي من العَيْلة وأسْدِلْ عليَّ سترك – أعذْني من سطوتِك وأجِرْني من نقماتك – عد بحِلْمِك على جهل من لم يرجُ غيرك – فأعطني ما أستعين به على شرف الدنيا والآخرة) (ابن عبد ربه، ١٤٠٤: ٤/٤–٩) .ويفيد تَكرار الدعاء بالأمر الدعائي في مقام الدعاء والتضرُّع واللُّجوء والابتهال الذي احتاجه هولاء الأعراب إلى الله سبحانه وتعالى.ومن خلال تتبُّع دعاء الأعراب نرى كثرة الدعاء بأسلوب الأمر، ولعلَّ السرَّ في مجيء الدعاء بأسلوب الأمر بدلًا من الأسلوب الخبري كقولك: (رحم الله فلانًا، أو غفر الله له) للتفاؤل بالاستجابة، وإظهار الحرص في سرعة استجابتِه حتى لكأنه متحقِّقٌ على الفور (محمد شادي، ١٤٣١: ١٧٤).

النهي:

هو طلب الكفِّ عن الشيء على وجه الاستعلاء (العصام الإسفراييني، د. ت: ٥٤/١)، وهو كالأمر في الاستعلاء (الهاشمي، د. ت: ٧٦)، وله صيغة واحدة وهي الفعل المضارع المسبوق بـ (لا الناهية): (لا تفعل).وقد جاء النهي بمعنى الدعاء إذا كان النهي صدر من الأدنى إلى الأعلى على سبيل التضرُّع والتذلُّل، وهو كالأمر قد يخرج عن معناه الأصلي إلى معانٍ بلاغيَّة.ومن هذه المواضع دعاء الأعرابي مرثد: «اللهم لا تُحقِّق عليَّ العذاب، ولا تقطع بي الأسباب، واحفظني في كلِّ ما تحيط به شفقتي، ويأتي من ورائه سُبحتي، وتَعجِز عنه قوَّتي» (ابن عبد ربه، ١٤٠٤: ٤/٤).نَلْحَظُ تصدير الدعاء بـ (اللهم) ممَّا يُضفِي على دعائه هيبةً وخشوعًا؛ حيث يليها (لا تحقق – لا تقطع) بصيغة النهي، وخرج النهي عن معناه الأصلي لغرض الدعاء والابتهال، واختيار الأعرابي للفعل (تحقق) حمل بلاغةً وفكرةً، فهو يدلُّ على جعل الأمر واقعًا وثابتًا، فجاء الدعاء (لا تُحقِّق) ولم يقُلْ: (لا تعذبني) بل اختار تعبيرًا أقوى وأعمق؛ حيث تحقيق العذاب يوحي بأنَّ العذاب قد يكون مقدَّرًا لكنه يسأل الله ألا يجعلَه واقعًا عليه، وزادت براعة هذا الأسلوب الدعائي بالاستعارة البديعة (لا تقطع لي الأسباب)، كله رجاء وأمل ألَّا تقطع الجسور الموصلة إلى الله، ويستكمل الأعرابي دعواته (لا تخيبني وأنا أرجوك ، ولا تُعذِّبني وأنا أدعوك)؛ حيث جاء الفعلان: (لا تُخيِّبْني– لا تُعذِّبْني)

بصيغة النهي، لكن ليس المقصود به النهي الحقيقي، وإنماهو أسلوب دعاء وتضرُّع، بل هو من أجمل الأساليب البلاغية في مناجاة الله ، وزاد في بلاغته تَكرَار الضمير (أنا) في الجملتَين تعزيزًا في الرجاء والخضوع لله؛ ليفصح عن عجز الذات الإنسانية وضعْفها، ويكون سببًا أدعى للإجابة.ولنتأمَّل جمال الترتيب في توحُّد أسلوب الدعاء بالنهي والأمر بلسان الأعرابي عشيَّة عرفات بقوله: «ولا تقطع رجائي منك، لما قدمت من افتراقٍ، وهبْ لي الإصلاح في الولد والأمن في البلد والعافية في الجسد، إنك سميع مجيد» (ابن عبد ربه، ١٤٠٤: ٦/٤).

الأسلوبان (النهي والأمر): (لا تقطع – هَبْ لي) خرجا عن معناهما الأصلي إلى غرض الدعاء والتضرُّع والرجاء الذي لا يكون إلا من الله وحده، ويدهشنا الترتيب والتسلسل المنطقي في مطالب هذا الأعرابي الذي يَعكِس عُمْق الفهم وحكمة الأولويَّات في الطلب ممَّا يجعل الدعاء أكثر تأثيرًا واتِّساقًا مع حاجات الإنسان الرُّوحية والسلوكية في (الإصلاح في الولد)، وحاجاته الاجتماعية والسياسية (الأمن في البلد)، وحاجاته الجسدية (والعافية في االجسد). وجمال التعبير بصيغة الأمر والنهي الصادر من الأعراب وغيرهم إلى الله عز وجل لغرض التضرُّع والدعاء وإظهار كمال التذلُّل والابتهال، هو بلا شكٍّ رغبة هولاء المؤمنين في أن يتكرَّم ويتعطَّف عليهم بالعفو والرحمة والمغفرة.

الاستفهام:

لغةً: جاء في اللسان: «استفْهَمَه: سأله أن يُفهِمَه، وقد استفهمني الشيء فأفْهمْتُه وفهَّمتُه تفهيمًا» (ابن منظور، ١٤١٤: ٣٥٧/١٥).

أما في الاصطلاح فهو: طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبلُ بأداةٍ خاصَّةٍ. (درويش. د. ت: ٤٢)، ويقصد بالأداة أدوات الاستفهام: (الهمزة، ما، هل، من، أيّ، كم، كيف، أين، أنَّى، متى، أيَّان)، والاستفهام بها قد يخرج من دلالته الأصلية (وهي طلب المعرفة بالشيء) إلى معانٍ أخرى يقصدها المتكلِّم حين يُراعِي اعتبارات المقام، يقول القزويني: (ثم هذه الألفاظ كثيرًا ما تُستعمَل في معانٍ غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام) (القزويني، د. ت: ٦٨/٣)، وهذا ما أكَّده أيضًا الدكتور محمد أبو موسى: «ما تُشِيعُه أداة الاستفهام أرحبُ وأدقُّ من أن نُحدِّدَه تحديدًا تامًّا، وأنَّ المعاني التي تشير إليها خفيَّةً وهاربةً، لا تستطيع وصْفَها بإحاطةٍ وسيطرةٍ، وهذا ليس بعيدًا عن طبيعة اللُّغة، وأنها مهما تروَّى المتكلِّم في كلماتِها، وراجع الاختيار، وصَقَلَ العبارة، فلن تكون هذه العبارة مبيَّنةً إبانةً كاملةً عمَّا أراد أن يبين عنه بها، وخاصَّةً في المواقف الحيَّة التي هي بين أعيننا، ونحن نتكلَّم هذا الكلام) (أبو موسى، ١٩٨٧: ٢١٨).وقد وظَّف الأعراب بِنْيَة الاستفهام لأغراضٍ بلاغيَّة، فانصرفت دلالته عن الاستفهام الحقيقي إلى دلالات بلاغية أخرى، حاله كحال الأمر والنهي، ومن ذلك ما جاء في دعاء أعرابيٍّ وهو يطوف بالكعبة: «إلهي، من أَوْلَى بالتقصير والزلل مني وأنت خلقتني؟! ومن أَوْلَى بالعفو منك عني وعلمك بي ماضٍ، وقضاؤك بي محيطٌ؟!» (العقد الفريد، ١٤٠٤: ٥/٤).حيث خرج الاستفهام في قوله: «من أولى بالتقصير والزَّلل منِّي» إلى غرض التقرير، فهو إقرارٌ بالتقصير والزَّلَل، ممَّا يُؤكِّد مسؤوليته عن هذا التقصير ممَّا جعل المعنى أكثر وقعًا وتأثيرًا في النفس، فالتقرير الذي خرج إليه الاستفهام أضْفَى على الكلام طابعًا نفسيًّا عميقًا نابعًا من تأنيب الضمير والإحساس بالذنب.والاستفهام الذي يكون على سبيل التقرير يكون أقوى في الحُجَّة، وأبلغ في الاستشهاد من التقرير المباشر؛ لأنَّ الاستفهام يستوقف المخاطب.كما جاء الاستفهام الآخر في دعائه: (ومن أولى بالعفو منك؟) لغرض آخر؛ حيث خرج هذا الاستفهام إلى غرض التعظيم والثناء، فالمُخاطَب هو الله عز وجل، فأشار الاستفهام إلى تعظيم صفته في العفو والمغفرة؛ حيث وظَّف الاستفهام توظيفًا جيدًا كوسيلةٍ للتوسُّل والطلب برفق؛ حيث حمل نغمة استعطافية تظهر الحاجة للعفو عن التقصير.ومن المواضع التي خرج فيها الاستفهام عن معناه الأصلي حين ناجى أعرابيٌّ ربَّه مُتعلِّقًا بأستار الكعبة، رافعًا يديه إلى السماء، يقول: «ربِّ، أتَرَاكَ مُعذِّبَنا وتوحيدُك في قلوبنا؟!» (العقد الفريد، ١٤٠٤: ٦/٤)؛ حيث بدأ مناجاته بالنداء المحذوف (ربّ) تودُّدًا وتلطُّفًا، وهو في حالة خشوع وتذلُّل، وعبَّر عن أغراضٍ متعدِّدة بصيغة الاستفهام، فهو لا يستفهم بقدْرِ ما هو يستبعد ويتعجَّب ويستنكر من وقوع العذاب على من وحَّد الله، واستبعاد أن يُعذِّب الله من آمن به، وهذا الاستفهام يُصوِّر حُزنَه وخوفه ورجاءه، فهو يخشى العذاب، لكنه يرجو النجاة بتوحيد الله؛ حيث اقترنت دلالة الاستبعاد والتعجُّب والإنكار هنا بالدهشة، وكأن المستفهم يتعجَّب أن يُعذِّب الله مع وجود التوحيد في القلوب، فيظهر استبعاده ودهشته مقترنةً بدلالة الاستفهام الأصلية.فهذه الشواهد والمواضع تُظهِر قدرة الأعراب على توظيف الاستفهام في خدمة المعنى الوارد في الدعاء، وهو ما قوَّى من أثر الاستفهام في نفس السامع.

النداء:

النداء في اللغة: «التصويت والدعاء، وقد ناداه ونادى به، وناداه مناداةً ونداءً؛ أي صاحب به، وتنادَوا: أي نادى بعضهم بعضًا» (ابن منظور، ١٤١٤: ١٨٧/٢٠)، «وهو أندى صوتًا منه أي أبعد» (ابن فارس، ١٩٧٩: ٤١٢/٥)

واصطلاحًا: هو طلبُ المتكَلِّم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب (أنادي) (الهاشمي د. ت: ٨٩) وأدواتُه ثمانٍ: (الهمزة، وأيّ، ويا، وآي، وأيَا، وَهيا، ووا، والهمزة الممدودة: آ) ، وهذه الأدوات تنقسم إلى قسمين: قسمٍ لنداء القريب، وقسمٍ لنداء البعيد، فالقسم الأول يتمثَّل في الهمزة، و(أي)، والباقي يستعمل في نداء البعيد (السامرائي، ٢٠٠٠: ٣٢٠/٤)، و(يا) أكثر حروف النداء استعمالًا، ولهذا قيل: إنها مشتركة بين نداء البعيد والقريب.وقد ذكر البلاغيُّون في مباحث الإنشاء الطلبي (النداء)، ولم يكن الدعاء من المعاني التي تستتبع النداء، مع وجود علاقة وثيقة بين النداء والدعاء، وتقدَّم النداء ملفوظًا أو مُقدَّرًا لمواضع الدعاء، ولكنهم ذكروا أنَّ الدعاء من المعاني المُستتبَعة لأسلوب الأمر والنهي، «وقد تستعمل صيغة الأمر لغيره؛ أي لغير طلب الفعل استعلاءً مما يُناسِب المقام بحسب القرائن، والدعاء نحو (ربِّ اغفر لي)، فإنه طلب للفعل على سبيل التضرُّع» (التفتازاني، ٢٠١٣: ٤٢٧).وكثيرًا ما يتقدَّم النداءُ أسلوبَ طلبٍ؛ كالأمر أو النهي أو الاستفهام (الزمخشري، ١٤١٥: ٢٢٤/١-٢٢٦)، يقول الزركشي: «النداء: هو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف مخصوص، وإنما يصحب في الأكثر الأمر والنهي» (الزركشي، ١٩٥٧: ٣٢٣/٢)، وهذا ما أكَّده الدكتور محمد أبو موسى؛ حيث يقول: «وممَّا يَقْوَى به أسلوبُ الأمر وقوعُه بعد النداء ... وأنَّ النداء يصحب الأمر والنهي غالبًا، وكأنه إعداد النفس لهما» (أبو موسى، ١٩٨٧: ٢٥٧-٢٦٣).فالنداء تمهيدٌ وتوطئةٌ للدعاء، والدعاء في حقيقته نداءٌ وطلبٌ، ولذلك يَسبِقُه، ونجد في دعاء الأعراب وقفاتٍ وتأمُّلاتٍ تستحقُّ العناية، ولا سيَّما ونحن نلحظ الرابطة الدقيقة بين الدعاء والنداء، وتتجلَّى أساليب النداء في دعاء الأعراب في ثلاثة أنواع: النداء بلفظ (اللهم)، والنداء بـ(يا)، أو بحذف أداة النداء.ومن ذلك طَرَفٌ من دعاء أعرابي يُقال له مرثد: «اللهم اغفر لي والجِلْد باردٌ، والنفس رَطْبَةٌ، واللسان مُنطلِقٌ، والصحف منشورةٌ، والأقلام جاريةٌ، والتوبة مقبولةٌ، والأنفس مُريحةٌ، والتضرُّع مرجوٌّ ... اللهم إني أسألك نجاح الأمل عند انقطاع الأجل، اللهم اجعل خير عملي ما ولي أجلي؛ اللهم اجعلني من الذين إذا أعطيتهم شكروا، وإذا ابتليتهم صبروا، وإذا أذكرتهم ذكرو ... اللهم لا تُحقق عليَّ العذاب، ولا تقطع بي الأسباب ... اللهم إني أعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن الذل إلا لك ...» (ابن عبد ربه، ١٤٠٤: ٤/٤-٥)؛ حيث يبدأ الأعرابي نداءه وتضرُّعَه باسمٍ خاصٍّ بذاتِه تعالى (اللهم)، والأصل فيها (يا الله) فلما استعملت الكلمة دون حرف النداء الذي هو (يا) عُوِّض عنها بالميم، وقد أشار سيبويه إلى أنَّ الخليل كان أول من جعلها في باب النداء (سيبويه، ١٤٠٨: ١٩٦/٢) وهو اسمٌ جامِعٌ لصفات الجلال، لا يُشرِكُه فيه غيرُه، ولا يُدعَى به أحدٌ سواه؛ لأنَّ ما يطلبه من دعوات لا يستطيع بشرٌ تحقيقَها، فلذلك وجَّه النداء إليه باسمه الجليل، مستبعِدًا ذكر أداة النداء (يا)؛ لأنه أنسب لمقام الدعاء والخشوع والتضرُّع والتذلُّل والتأدُّب مع الذات الإلهية، فكأن الداعي دعا الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته كلها، فـ(لام) اسم الجلالة تُفخَّم وجوبًا غير مسبوقةٍ بحرفِ إطباقٍ، كما أنَّ «الميم زِيدَتْ للتعظيم والتفخيم كزيادتها في (زرقم) لشديد الزرقة، و(ابنم) في الابن» (ابن قيم الجوزية، ١٤٠٧: ١٤٧).فالأعرابي استعمل (اللهم) وأطمأنَّ إليها فأخذ يُكرِّرُها، في كلِّ مرة يقابل فيها بين حال الإنسان وقت الحياة ووقت الاحتضار يعود فيُجدِّد العهد بالدعاء بـ(اللهم)، فقد أوضح دعاء الأعرابي تأكيد الإيمان بها، وثبات اليقين بالله تعالى، وصدق ما عاهدوه عليه ومحاسبة النفس قبل حسابها، فترديده (اللهم) مُكرِّرًا إياها مرات عديدة، لم يأت جزافًا؛ بل اختيارٌ دقيقٌ بدافع داخلي لِلَفْظِ اطمأنَّ إليه، وكرَّره دون غيره من المفردات.ومن مكانٍ آخر في مقام الطَّوَاف في الكعبة؛ حيث يقول الأعرابي: «اللهم إنا أطعناك في أحبِّ الأشياء إليك: شهادة أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، ولم نَعصِكَ في أبغض الأشياء إليك: الشرك بك؛ فاغفر لي ما بين ذلك، اللهم إنك آنَسُ المُؤنِسِين لأوليائك، وأحْضَرُهم للمتوكِّلِين عليك» (ابن عبد ربه، ١٤٠٤: ٥/٤)؛ حيث يتكرَّر النداء بـ(اللهم) فالأعرابي ينادي لأنه متيقِّنٌ أنه سبحانه وتعالى مُجيب، والباعث على النداءهو البَوْح والفضفضة، والتنفيس والإلحاح في الطلب رغبةً في الإجابة، ولِيُذهِبَ خوفَ نفسِه ووحشتَها، فهو في مقام رجاء وطمعٍ في الآخرة، ولم يطلب من دنياه شيئًا.ولعلَّ السرَّ في كثرة النداء بـ(اللهم) في دعاء الأعراب؛ حيث تكرَّرتْ أكثر من عشرين مرة؛ يرجع إلى ما في لفظ الجلالة من العموم؛ لأنَّه يشمل الصفات الإلهية كلَّها؛ ولذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستفتح به في أكثر دعائه مستحضرًا عظمة المُسمَّى متقرِّبًا إلى الله بهذا الاسم المفرد الذي لا يُطلَق على غيره جل جلاله؛ نظرًا لما في هذا الاسم من العموم.ويُطالِعُنا نداءٌ جديدٌ، وهو النداء بـ (يا)، فهذا الأعرابي يُقِرُّ ويعترف بفضل الله عليه حيث يقول: «يا رب تظاهرتْ عليَّ منك النِّعَم، وتداركت عندك مني الذنوب؛ فلك الحمد على النعم ...» (ابن عبد ربه ١٤٠٤: ٥/٤)؛ حيث عبَّر حرف النداء عن الحالة النفسية للأعرابي بعدما أصابه من الهمِّ والحزن من كثرة الذنوب، وحرف النداء لا يكاد يُستخدَم مع رُبَّ بل ينادَى مُجرَّدًا من حرف النداء، إلا أنه أتى بحرف النداء مع شعوره بقُربِه من ربِّه زيادةً في الضراعة إلى الله، وإيقاظًا لنفسه، وتهيئةً لها؛ لأنها ستناجي الكريم المجيب، واصطفى اسم الجلالة (رب) لأنه لفظ الدعاء، وهو مصدر الرعاية، وإجابة الدعاء من مقتضى الربوبية، فقد ربَّاه بالنعم التي كَثُرَتْ، وعبَّر عنها بـ(تظاهرَتْ)، فالنداء هنا إقرارٌ وشكرٌ على مَنِّه وعطائه، وإيناسٌ للنفس وتقرُّبٌ بشكر النِّعَم.

وفي حديث المناجاة تصدَّر النداءُ دعاء الأعرابي الحاجّ فقال: «يا خير موفودٍ سَعَى إليه الوفدُ ...» (ابن عبد ربه، ١٤٠٤: ٥/٤)، فهو يطلب ويتشفَّع ويتضرَّع بنبرةٍ يملؤها الأسى والوجل متوسِّلًا بذلك إلى الرحمة.إنَّ صعوبة العيش التي يعانيها الأعراب أكسبتْهم قوَّةً وفكرةً، وكثيرًا ما تتلاشى هذه القوة في مواقف الابتهال والمناجاة، فها هو الأعرابي يصطفي صفاتٍ تتلاءم مع حاجتِه الرُّوحية والمعنوية، فيشارك الكون بها فيقول: (يا عمادَ من لا عمادَ له، ويا رُكنَ من لا رُكنَ له، ويا مُجيرَ الضعفاء، ويا مُنقِذ الهلكى، ويا عظيم الرجاء ... يا مُحسِن، يا مجمل، يا مفضل) (ابن عبد ربه، ١٤٠٤: ٦/٤)، فيتضرع بـ(يا) دون غيرها ويُكرِّرُها مرارًا؛ لأنَّ المقام مقام تعظيم، وهذا الدعاء الشاكر الذي يتعانق فيه الثناء والطلب، بما هو أهلٌ له هو الدعاء الأكمل والأبلغ والأفضل.والنداء يُصوِّر قوَّة إيمان الأعراب وثِقَتهم بربِّهم، فهذه أعرابيَّةٌ انقطعت بها السُّبُل أثناء خروجها إلى مِنَى، فقالت: «يا رب، أخذتَ وأعطيتَ، وأنعمتَ وسلبْتَ، وكلُّ ذلك منك عدلٌ وفضلٌ، والذي عَظُمَ على الخلائق أمرُك؛ لا بسطتُ لساني بمسألةِ أحدٍ غيرُك، ولا بذلتُ رغبتي إلا إليك، يا قرَّة أعين السائلين» (ابن عبد ربه، ١٤٠٤: ٦/٤)، فبدأتْ مستخدمةً النداء بـ(يا) (يا رب)، واعتمدت على الأفعال المتضادَّة (أخذت وأعطيت) و(أنعمت وسلبت) ممَّا يُبرز شموليَّة تصرُّف الله في خلْقِه بين العطاء والمنع، والنعمة والابتلاء، وانتقلت بسلاسة من الحديث عن القضاء والقدر إلى الاستغناء بالله في المسألة؛ ممَّا يعكس شخصية قوية، فقد واجهت مِحْنَتَها وانقطاع السُّبُل بثباتٍ نفسيٍّ عجيبٍ، لم تشتكِ لأحدٍ ولم تظهر خوفًا، وإنما خاطبت الله مباشرة، وختمت بنداء بديعٍ يُصوِّر جمال مقام المناجاة والدعاء(يا قرة أعين السائلين) فكلُّ المسائل والآمال لا تهدأ إلا بين يديه.وفي النداء محذوف الأداة نَجِدُ الأعرابي بفصاحته وبلاغته، يعرف كيف يصدر الدعاء بحذف أداته أو ذكْرِها، ومن ذلك الأعرابي الذي جاء للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا رسول الله، أقريبٌ ربُّنا فنُناجِيه أم بعيدٌ فنُنادِيه؟» فسكت النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فمنهم المناجي بصوتٍ منخفضٍ، وتضرُّعٍ هادئ، فلا يحتاج معه إلى مدِّ الصوت بالنداء، يقول الأعرابي: «إلهي، كم تحبَّبتَ إليَّ بنعمتِك وأنت غنيٌّ عنِّي، وكم أتبغَّض إليك بذُنُوبي وأنا فقيرٌ إليك! سبحان من إذا توعَّد عفا، وإذا وعد وَفَى» (ابن عبد ربه، ١٤٠٤: ٤/٤).فـ(إلهي) نداء حذفت منه الأداة، ممَّا يُعبِّر عن عاطفة الداعي، وهي القرب والتودُّد والاستعطاف والتزلُّف إلى العفو والمغفرة، وساعد على ذلك من المقابلة بين «كم تحبَّبتَ إليَّ ... وأنت غنيٌّ عنِّي» وبين «وكم تبغَّضتُ إليك بذُنُوبي وأنا فقيرٌ إليك»، فهي تبرز التناقض بين كرم الله المُطلَق وتلبية الحاجة رُغْم غناه وبين تقصير العبد رُغْم فقرِه إلى الله، ممَّا يجعل الدعاء مؤثِّرًا ومُعبِّرًا عن ضعف وحاجة العبد ورحابة عفو الله.ومن بلاغة الدعاء الصاعد إلى السماء بحذف حرف النداء من أعرابي يطوف الكعبة وهو يقول: «إلهي عجَّت إليك الأصواتُ بضُروبٍ من اللُّغات يسألونك الحاجات، وحاجتي إليك إلهي أن تذكُرَني على طول البَلَاء إذا نَسِيَني أهلُ الدنيا ...» (ابن عبد ربه، ١٤٠٤: ٦/٤)؛ حيث جاء النداء مباشرًا بـ(إلهي)، وهذا يُوحِي بالقرب بين العبد وربِّه؛ حيث يبثُّ الداعي حاجته وتوسُّلَه وسط أصوات الدَّاعِين بمختلف اللُّغات، ويطلب منه أن يَذكُرَه بعد موته وسط عالَمٍ متغيِّرٍ قد ينساه فيه الناس، واستعمال (الأصوات – اللغات) يُعبِّر عن كثرة التضرُّع والابتهال وشمولية الدعاء، فهو مُجِيبُ الدعوات لكلِّ اللغات.فنجد تَكرار النداء، وغرضُه البلاغي الاسترحام والاستعطاف والتضرُّع، وإظهار كمال الخضوع، والاعتراف برُبوبيَّة الله تعالى مع الإيمان به، كما أنَّ أدوات النداء لم تتنوَّع في دعاء الأعراب، بل اقتصرت على أداتَين فقط من أدواتِه، وذلك لخصوصيَّة المدعو، وتفرُّدِه بالعظمة والكمال، فلا يَليق بجلاله أن يصرح بأدوات النداء ذات المقاطع المفتوحة وحروف التنبيه، وإذا وجدت أداة يكون ذلك مختصًّا بنفس الداعي، ومرتبطًا بحاله النفسي والشعوري، وقد احتلَّ النداء بـ(اللهم) المرتبة الأولى في الدعاء، يليه النداء بـ(يا)، وحذف النداء في مواضع من الدعاء، وهو مما له علاقة بنفس الداعي، ومِساس بحاجة نفسه.

التمنِّي:

التمنِّي حديث النفس بما لا يكون، والتمنِّي أن تشتهي حصول الأمر المرغوب فيه، وقيل: تمنَّيتُ الشيء: أي قدَّرتُه وأحببتُ أن يصير إليَّ، من المُنى والقدرة (ابن منظور، ١٤١٤: ٢٩٤/١٥).والتمنِّي في اصطلاح البلاغيِّين: هو طلب حصول شيءٍ مرغوبٍ بشرط المحبَّة (التفتازاني، د. ت: ٢٣٩/٢)، وعرَّفه العلويُّ بأنه: «عبارة عن توقُّع أمرٍ محبوبٍ في المستقبل» (العلويّ، ١٤٢٣: ١٦٠/٣).والتمنِّي عند البلاغيِّين نوعٌ من أنواع الإنشاء الطلبي، والفرق بينه وبين أنواع الطلب الأخرى أنَّ هذه الأنواع تتعلَّق باللسان، والتمنِّي يهجس في القلب يقدره التمني (ابن يعيش،٢٠٠١م:١٢٤/٥)، والتمنِّي ممَّا لا يُتوقَّع حصولُه لأحد الأمرين؛ إما لكونه مستحيلًا كقوله: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٣]، أو كونه ممكنًا غير مطموعٍ في نَيلِه؛ كقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ [القصص: ٧٩]، فالتمنِّي

هو طلب حصول أمرٍ محبوبٍ مستحيلِ الوقوع، أو بَعِيدِه، أو امتناعِ أمرٍ مكروهٍ (هارون، ٢٠٠١: ١٧).ممَّا يَلفِت الانتباه ويُثِير التساؤل هو عدم ورود أسلوب التمنِّي في دعاء الأعراب، ولو توقَّفنا قليلًا في تعريف التمنِّي السابق لظهر لنا السبب جليًّا، فإذا عرفنا أنَّ معنى التمنِّي هو طلب المستحيل، وجَدْنا أنَّ ذلك يتعارض مع آداب الدعاء؛ لأنَّ الدعاء لا بدَّ أن يكون بأسلوبٍ جازمٍ يُعبِّر عن يقين العبد باستجابة الله له، لا بصيغة التمنِّي التي توحي بالتردُّد أو الشكِّ.والرسول صلى الله عليه وسلم أرشدنا إلى طريقة الدعاء الصحيحة، بالنهي عن الدعاء بصيغة التمنِّي، وأرشد المسلمين إلى أن يدعوا الله وهم مُوقِنُون بالإجابة، كما جاء في الحديث الشريف: «إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن لِيَعزِمَ المسألة، ولِيُعظِمَ الرغبة، فإنَّ الله لا يتعاظمه شيءٌ أعطاه» (مسلم، رقم ٢٦٧٩: ٢٠٦٣/٤).فدعاء العبد بصيغة التمنِّي يظهر عدم اليقين في قدرة الله، وهذا قد يكون سببًا في عدم إجابة الدعاء، أما الدعاء الجازم، فهو دليلٌ على قوة الإيمان والتوكُّل على الله، ممَّا يجعل العبد أكثر قُربًا من تحقيق مطلوبه، وهذا ما يعود بنا إلى صفات الأعراب، وبلاغتهم في اختيار ومعرفة الأسلوب الأنسب في تقرُّبهم ودعائهم وتضرُّعهم لله، راجين القبول وتحقيق الإجابة من خلال التأدُّب مع الله، بأساليب تَضِجُّ باليقين والعزم، مُوقِنين بأنَّ الله سبحانه وتعالى قادرٌ على كلِّ شيء، ولا يُعجِزُه شيءٌ، فلا مجال في دعائهم لعبارات التمنِّي: (إن شئت، ليت، أتمنَّى).

خاتمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الخلق أجمعين، نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ أما بعد:

فدِراسة الأساليب الإنشائية الطلبية في دعاء الأعراب نافذةٌ جميلةٌ لفَهْم بلاغتِهم والوصول إلى فصاحتِهم بصورةٍ أعمق، وبعد هذه الرحلة في ابتهالاتِهم ودعائهم، توصَّلت إلى النتائج التالية:

١. قيام دعاء الأعراب على جملة من المشاعر النفسية؛ كالخوف والرجاء، والتعظيم والتذلُّل، والتضرُّع والخضوع.

٢. تنوُّع الأساليب الإنشائية الطلبية بين الأمر والنهي والاستفهام والنداء، بما يعكس تنوُّع المواقف التي استدعت انفعالاتهم.

٣. خروج الأمر والنهي والاستفهام والنداء من دلالتِه الأصلية إلى دلالة الدعاء بما يُبيِّن مراعاة الداعي لمقتضيات المقام، من صدور الكلام من الأقل للأعلى مكانةً، وهو ما ناسب مقام الدعاء.

٤. يُعَدُّ النداء أكثر الصيغ ورودًا؛ لِمَا في صيغته من دلالاتٍ كثيرةٍ يحمل في طيَّاتِه طاقة تعبيرية وإيحائية، يليه الأمر، يليه النهي، وأقلُّها الاستفهام.

٥. لم يكُنْ لأسلوب التمني حضورٌ في دعاء الأعراب؛ لأنَّ التمنِّي هو طلب المستحيل، وهذا يتعارض مع آداب الدعاء؛ لأنَّ الدعاء لا بدَّ أن يكون بأسلوبٍ جازمٍ يُعبِّر عن يقين العبد باستجابة الله له، لا بصيغة التمنِّي التي تُوحِي بالتردُّد أو الشكِّ.

٦. من أبرز المظاهر البلاغية في دعاء الأعراب الوضوحُ، والجمالُ، والدقَّةُ في اختيار الألفاظ، والإيقاع الداخلي والخارجي.

التوصيات:

تشجيع الباحثين على دراسة قول الأعراب في الدعاء، فهي تحوي العديد من الموضوعات المُتنوِّعة في النحو واللُّغة والبلاغة التي لمَّا تُدرَّس بعدُ.

المصادر والمراجع:

١. إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، حققه وعلق عليه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٢. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، جمهرة اللغة، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧.

٣. ابن عبد ربه، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربِّه، بن حبيب بن حدير بن سالم، الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤.

٤. ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٨-١٩٩٧.

٥. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ – ١٩٧٩.

٦. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، المحقق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة – الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.
٧. ابن منظور محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، الحواشي لليازجي وجماعة من اللُّغويين، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤.
٨. أبو موسى، محمد محمد، دلالا ت التراكيب، دراسة بلاغية، دار التضامن، ط ١، القاهرة، ١٤٠٨-١٩٨٧.
٩. أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، الكتاب: أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني، وكالة المطبوعات – الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠.
١٠. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي، شرح السنة، محيي السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ – ١٩٨٣.
١١. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، الجامع الكبير (سنن الترمذي)، حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦.
١٢. التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن محمد، شرح تلخيص المفتاح المطول، حقَّقه وخرَّج ما فيه وعلَّق عليه وصنع فهارسه: د. ضياء الدين عبد الغني القالش، دار اللباب، تركيا، الطبعة الأولى: ١٤٤٣– ٢٠٢٢.
١٣. التفتازاني، سعد الدين، المطول شرح تلخيص المفتاح، المحقِّق الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٣، ٢٠١٣.
١٤. التوحيدي، أبو حيان، علي بن محمد بن العباس، البصائر والذخائر، المحقق: د/ وداد القاضي، دار صادر– بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ – ١٩٨٨.
١٥. الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣.
١٦. الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الحيوان، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤.
١٧. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، شأن الدعاء، المُحقِّق: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.
١٨. دزيل، عدنان، النص والأسلوب بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، ٢٠٠٢م، ص ٧٦.
١٩. الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي.
٢٠. الزبيدي، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر، طبقات النحويين واللُّغويين (سلسلة ذخائر العرب ٥٠)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثانية، دار المعارف.
٢١. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ – ١٩٥٧، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركاه.
٢٢. الزمخشري، أبو القاسم جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥.
٢٣. السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ – ٢٠٠٠.
٢٤. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الكتاب، المحقِّق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨– ١٩٨٨.
٢٥. السيوطي، جلال الدين، شرح الأرجوزة المسمَّاة بعقُودُ الجُمَان في عِلْمِ الْمَعَانِي وَالْبَيَان، وبهامشه شرح العالم العلامة الشيخ الدمنهوري، المسمَّى بحلية اللُّبِّ المصون على الجوهر المكنون لعبد الرحمن الأخضر، د. ط /د. ت.
٢٦. عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ – ٢٠٠٩.
٢٧. العروسي، أبو عبد الرحمن جيلان بن خضر، الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، مكتبة الرشد، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ – ١٩٩٦.

٢٨. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح البخاري، رقَّم كُتُبَه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر، الطبعة: «السلفية الأولى»، ١٣٨٠ – ١٣٩٠.

٢٩. العلويّ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني الطالبي الملَقَّب بالمؤيد بالله، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ط١، المكتبة العصرية – بيروت، ١٤٢٣.

٣٠. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري، كتاب العين، المحقِّق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٣١. القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ – ١٩٦٤.

٣٢. القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، الإيضاح في علوم البلاغة، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثالثة.

٣٣. قلقيلة، عبد العزيز، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، الرياض، ١٤٠٧-١٩٨٧م.

٣٤. القيرواني، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت، د. ت.

٣٥. محمد شادي، إبراهيم عبد العزيز، الحوار في القرآن الكريم، خصائصه التركيبية وصوره البيانية، دار اليقين، ط١، ١٤٣١.

٣٦. المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥، ٢٠٠٤.

٣٧. مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، محمد فؤاد عبد الباقي، صحيح مسلم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

٣٨. الندوي، أبو الحسن علي الحسني، السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، تحقيق وتعليق: سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، (دمشق – بيروت)، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٢٥ – ٢٠٠٤.

٣٩. النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣.

٤٠. هارون، عبد السلام محمد، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٥، ٢٠٠١.

٤١. الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

٤٢. يعيش بن علي بن يعيش، ابن أبي السرايا، محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع، شرح المفصل للزمخشري، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ – ٢٠٠١.

References and Sources:

1. **Abd al-Aziz Atiq** – *Ilm Al-Ma'ani*, Dar Annahda Al-Arabia for Printing, Publishing, and Distribution, Beirut – Lebanon, 1st edition, 1430 AH – 2009.
2. **Abu Musa, Muhammad Muhammad** – *Dalalat Al-Tarakib, Dirasah Balaghiya*, Dar Al-Tadamun, 1st edition, Cairo, 1408 AH – 1987.
3. **Ahmad Matlub Ahmad Al-Nasiri Al-Sayyadi Al-Rifa'i** – *Asaleeb Balaghiy:, Al-Fasaha - Al-Balagha - Al-Ma'ani*, Wakala Al-Matbu'ah – Kuwait, 1st edition, 1980.
4. **Al-'Arusi, Abu Abd Al-Rahman Jilan bin Khidr** – *Al-Du'a wa Munazilatuh Min Al-Aqida Al-Islamia*, Al-Rushd Bookstore, Riyadh – Saudi Arabia, 1st edition, 1417 AH – 1996.
5. **Al-Alawi, Yahya bin Hamza bin Ali bin Ibrahim, Al-Husayni Al-Talibi, known as Al-Mu'ayyad Billah** – *Al-Tiraz li-Asrar Al-Balaghah wa 'Ulum Haqaiq Al-I'jaz*, 1st edition, Al-Maktaba Al-Asriyya – Beirut, 1423 AH.
6. **Al-Asqalani, Ahmad bin Ali bin Hajar** – *Fath Al-Bari Bi Sharh Al-Bukhari*, Indexed by: Muhammad Fouad Abdul-Baqi, Edited and Corrected by: Mubbidin Al-Khatib, Al-Maktaba Al-Salafiya, Egypt, "First Salafi Edition", 1380-1390 AH.

7. **Al-Baghawi, Abu Muhammad Al-Hussain bin Mas'ood bin Muhammad bin Al-Fara' Al-Shafi'i** – *Sharh Al-Sunnah*, Muhyi Al-Sunna, Edited by: Shu'aib Al-Arna'oot – Muhammad Zuhayr Al-Shawish, Al-Maktab Al-Islami – Damascus, Beirut, 2nd edition, 1403 AH – 1983.
8. **Al-Farahidi, Abu Abd Al-Rahman Al-Khalil bin Ahmad bin Amr bin Tamim Al-Basri** – *Kitab Al-'Ayn*, Edited by: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samarrai, Dar wa Maktabat Al-Hilal.
9. **Al-Hashimi, Ahmad bin Ibrahim bin Mustafa** – *Jawahir Al-Balaghah Fi Al-Ma'ani wa Al-Bayan wa Al-Badi'*, Edited and Verified by: Dr. Yusuf Al-Sumaili, Publisher: Al-Maktaba Al-Assriya, Beirut.
10. **Al-Jahiz, Amr bin Bahr bin Mahboub Al-Kinani Al-Laythi, Abu Uthman** – *Al-Bayan wa Al-Tabyin*, Dar wa Maktabat Al-Hilal, Beirut, 1423 AH.
11. **Al-Jahiz, Amr bin Bahr bin Mahboub Al-Kinani Al-Laythi, Abu Uthman** – *Al-Hayawan*, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 2nd edition, 1424 AH.
12. **Al-Khatabi, Abu Sulayman Hamid bin Muhammad bin Ibrahim bin Al-Khatab Al-Busti** – *Shan Al-Du'a*, Edited by: Ahmad Yusuf Al-Daqaq, Dar Al-Thaqafa Printing, 1st edition, 1404 AH – 1984.
13. **Al-Muraghi, Ahmad Mustafa** – *'Ulum Al-Balaghha (Al-Bayan, Al-Ma'ani, Al-Badi'a)*, Al-Maktaba Al-Assriya, Beirut, 1st edition, 1425 AH – 2004.
14. **Al-Nadwi, Abu Al-Hasan Ali Al-Hassani** – *Al-Sira Al-Nabawiyya by Abu Al-Hasan Al-Nadwi*, Edited and Annotated by: Sayyid Abdul Majid Al-Ghori, Dar Ibn Katheer, (Damascus - Beirut), 12th edition, 1425 – 2004.
15. **Al-Nawiri, Ahmad bin Abdul Wahab bin Muhammad bin Abdul Daim Al-Qurashi Al-Taymi Al-Bakri**, **Shihab Al-Din** – *Nihayat Al-Arb Fi Funun Al-Adab*, Dar Al-Kutub wa Al-Watha'iq Al-Qawmiya, Cairo, 1st edition, 1423 AH.
16. **Al-Qazwini, Muhammad bin Abd al-Rahman bin Umar, Abu Al-Ma'ali, Jalal Al-Din Al-Shafi'i, known as Khatib Dimashq** – *Al-Idah fi 'Ulum Al-Balagha*, Edited by: Muhammad Abd al-Mun'im Khafaji, Dar Al-Geel – Beirut, 3rd edition.
17. **Al-Qirwani, Ibrahim bin Ali bin Tamim Al-Ansari, Abu Ishaq Al-Husari** – *Zahr Al-Adab wa Thamar Al-Albab*, Dar Al-Geel, Beirut, n.d.
18. **Al-Qurtubi, Abu Abd Allah Muhammad bin Ahmad Al-Ansari** – *Al-Jami' Li Ahkam Al-Qu'ran*, Edited by: Ahmad Al-Barduni and Ibrahim Atfesh, Dar Al-Kutub Al-Misriyya, Cairo, 2nd edition, 1384 AH – 1964.
19. **Al-Rafi'i, Mustafa Sadiq bin Abd al-Razzaq bin Sa'id bin Ahmad bin Abd al-Qadir** – *Tarikh Adab Al-Arab*, Dar Al-Kitab Al-Arabi.
20. **Al-Samarrai, Fadel Salih** – *Ma'ani Al-Na*, Dar Al-Fikr for Printing, Publishing, and Distribution – Jordan, 1st edition, 1420 AH – 2000.
21. **Al-Suyuti, Jalal Al-Din** – *Sharh Al-Arjooza Al-Masmuwwa Bi 'Uqud Al-Juman Fi 'Ilm Al-Ma'ani wa Al-Bayan*, with Marginal Notes by the Scholar Al-Shaykh Al-Dimnahuri, titled *Hilyat Al-Lub Al-Masun 'Ala Al-Jawhar Al-Maknun* by Abdul Rahman Al-Akhdar, n.d.
22. **Al-Taftazani, Sa'd Al-Din** – *Al-Mutawwal Sharh Talkhees Al-Miftaah*, Edited by Dr. Abdul Hamid Hindawi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut – Lebanon, 3rd edition, 2013.
23. **Al-Taftazani, Sa'd Al-Din Mas'ood bin Umar bin Muhammad** – *Sharh Talkhees Al-Miftaah Al-Mutawwal*, Edited, Annotated, and Indexed by Dr. Diya' Al-Din Abdul Ghani Al-Qalesh, Dar Al-Lobab, Turkey, 1st edition: 1443 AH – 2022.
24. **Al-Tirmidhi, Abu Isa Muhammad bin Isa** – *Al-Jami' Al-Kabir (Sunan Al-Tirmidhi)*, Edited and Annotated by: Bashar Awad Ma'ruf, Dar Al-Gharb Al-Islami – Beirut, 1st edition, 1996.
25. **Al-Tuhidi, Abu Hayyan Ali bin Muhammad bin Al-Abbas** – *Al-Basa'ir wa Al-Dhakha'ir*, Edited by: Dr. Wadad Al-Qadi, Dar Sader, Beirut, 1st edition, 1408 AH – 1988.
26. **Al-Zabidi, Muhammad bin Al-Hasan bin Ubayd Allah bin Madhhaj Al-Andalusi Al-Ishbili, Abu Bakr** – *Tabaqat Al-Nahwiyeen wa Al-Lughawiyyin*, (Arab Treasures Series 50), Edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, 2nd edition, Dar Al-Ma'arif.
27. **Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Jar Allah** – *Al-Kashshaf 'an Haqaiq Al-Tanzil wa 'uyon Al-Aqawil Fi Wujuh Al-Ta'wil*, Edited by: Muhammad Abdul-Salam Shahin, n.d., Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1415 AH.

28. **Al-Zarkashi, Abu Abd Allah Badreddin Muhammad bin Abd Allah bin Bahadur** – *Al-Burhan Fi 'Ulum Al-Qur'an*, Edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, 1st edition, 1376 AH – 1957, Dar Ihya' Al-Kutub Al-Arabiyah, Isa Al-Babi Al-Halabi wa Shurakah.
29. **Dzeil, Adnan** – *Al-Nass wa Al-Asloob Bayn Al-Nazariya wa Al-Tatbiq*, Arab Writers Union, Damascus, 2002, p. 76.
30. **Harun, Abd al-Salam Muhammad** – *Al-Asalib Al-Insha'iyya fi Al-Nahw Al-Arabi*, Maktabat Al-Khanji, Cairo, 5th edition, 2001.
31. **Ibn Abd Rabbih, Abu Omar Shihab Al-Din Ahmad bin Muhammad bin Abd Rabbih, bin Habib bin Hudayr bin Salen, Al-Andalusi** – *Al-'Iqd Al-Farid*, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya – Beirut, 1st edition, 1404 AH.
32. **Ibn Duraid, Abu Bakr Muhammad bin Al-Hasan Al-Azdi** – *Jamharat Al-Lughah*, Edited by: Ramzi Munir Baalbaki, Dar Ilm Lil-Malayin – Beirut, 1st edition, 1987.
33. **Ibn Faris, Ahmad bin Faris bin Zakariyya Al-Qazwini Al-Razi**, **Abu Al-Hussein** – *Mu'jam Maqayyis Al-Lughah*, Edited by: Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Fikr, 1399 AH – 1979.
34. **Ibn Faris, Ahmad bin Zakariyya Al-Qazwini Al-Razi**, **Abu Al-Hussein** – *Al-Sahabi Fi Fiqh Al-Lughah Al-Arabiyah wa Masa'iliha wa Sunan Al-'Arab Fi Kalamiha*, Muhammad Ali Baydoun, 1st edition 1418 AH – 1997.
35. **Ibn Manzur, Muhammad bin Makram bin Ali, Abu Al-Fadl, Jamal Al-Din Al-Ansari Al-Ruwayfi Al-Ifriqi** – *Lisan Al-Arab*, with commentary by Al-Yaziji and a group of linguists, Dar Sader – Beirut, 3rd edition, 1414 AH.
36. **Ibn Qayyim Al-Jawziyya, Muhammad bin Abi Bakr bin Ayyub bin Saad, Shams Al-Din** – *Jalaa' Al-Afham fi Fadl Al-Salah 'ala Muhammad Khayr Al-Anam*, Edited by: Shuayb Al-Arna'ut and Abdul Qadir Al-Arna'ut, Dar Al-Uruba – Kuwait, 2nd edition, 1407 AH – 1987.
37. **Ibrahim bin Muhammad bin Arabshah Issam Al-Din Al-Hanafi** – *Al-Atwal: Sharh Talkhis Miftah Al-Ulum*, Edited and Annotated by: Abdul Hamid Hindawi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, Beirut – Lebanon.
38. **Muhammad Shadi, Ibrahim Abd al-Aziz** – *Al-Hiwar fi Al-Qu'ran Al-Karim, Khassaisuhu Al-Tarkibiyya wa Suwaruhu Al-Bayaniyya*, Dar Al-Yaqin, 1st edition, 1431 AH.
39. **Muslim, Abu Al-Hussain bin Al-Hajjaj Al-Qushayri Al-Naysaburi, Muhammad Fouad Abdul-Baqi** – *Sahih Muslim*, Isa Al-Babi Al-Halabi wa Shurakah, Cairo.
40. **Qalqila, Abd al-Aziz** – *Al-Balagha Al-Istilahiya*, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Riyadh, 1407 AH – 1987.
41. **Sibawayh, Amr bin Uthman bin Qanbar Al-Harithi, Abu Bishr** – *Al-Kitab*, Edited by: Abd al-Salam Muhammad Harun, Maktabat Al-Khanji, Cairo, 3rd edition, 1408 AH – 1988.
42. **Ya'ish bin Ali bin Ya'ish, Ibn Abi Al-Saraya, Muhammad bin Ali, Abu Al-Baqa, Muwaffaq Al-Din Al-Asadi Al-Mawsili**, known as *Ibn Ya'ish* or *Ibn Al-Sani'* – *Sharh Al-Mufassal lil-Zamakhshari*, Introduction by Dr. Emile Badi' Ya'qoub, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut – Lebanon, 1st edition, 1422 AH – 2001.